مفهوم الغلو والغلاة
في ضوء الأدلة الشرعية

إعداد

د.جازي بن بخيت الجهني

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة بالجامعة الإسلامية

بالمدينة النبوية

من ٢٦٩ إلى ٣٠٨

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق والمرسلين، نبينا محمد عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم. وبعد

إن من أهم المسائل في هذا العصر، والتي يجب أن تُجلى للناس كافة، ظاهرة الغلو والغلاة، من خلال تعريفها، وتحديد من يقف خلفها، ويسعر نارها، ويقدح شرارتها، ليعاني منها العالم أجمع، وقد أثرت هذه الظاهرة بوجه خاص على وحدة الأمة الإسلامية، وأحدثت فيها تصدعاً يشاهده القاصي والداني، وتأثرت الدعوة لدين الإسلام بسبب الغلاة تأثراً سلبياً، وأسهموا من حيث يشعرون أو لا يشعرون في الحد من قبول الناس للدين الحق، ودخولهم فيه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[2]، فلا يقبل الله ديناً غيره، وهو البديل الحق عن الكفر والضلال والحيرة.

كما أن بيان مسألة الغلو والغلاة في ضوء الأدلة الشرعية، وبصورة مختصرة، من الأمور التي ينبغي التركيز عليها، وإيضاحها، ونشرها عبر الوسائل الإعلامية المتاحة، نصرة للحق وبياناً لحقيقة الإسلام، دين الرفق واللين والتسامح، في مقابل أكاذيب الأعداء الذين رموه عن قوس

---

(١) آل عمران:١٩.

(٢) آل عمران:٨٥.

واحدة، وهجموا عليه هجوماً شرساً، وصوروه بأنه دين الغلاة والقتل وسفك الدماء والغلظة والشدة والإرهاب[١]، مع أن واقع الحال يدل على أن ظاهرة الغلو لا يصح حصرها في الإسلام والمسلمين، فالمتابع لحال العالم اليوم يظهر له جلياً، أن الغلاة يظهرون في كل المجتمعات والديانات، ولا يخلو منهم زمان ولا مكان، وأن نسبة الغلاة من المسلمين قليلة بالنظر إلى غيرهم من المجتمعات، وهذا حسب الإحصائيات العالمية، وصنائع الغلاة في العصر الحديث في المجتمعات الإسلامية –في كثير منها– يقف خلفها ويدعمها فكر سياسي واستخباراتي عالمي منظم ومدعوم، يعادي الإسلام والمسلمين وتتكشف بين فترة وأخرى أوراق ووثائق تشهد بصدق ما نقوله ونذهب إليه.

إن أعداء الإسلام وجدوا في الغلو والغلاة ضالتهم وبغيتهم لتشويه الإسلام، حيث استعملوا فكرة الغلو ومنهج الغلاة سلاحاً قوياً ومنفراً في وجه المد الإسلامي السريع الذي أزعجهم وأذكى نار الحقد والحسد في نفوسهم، خاصة في أوروبا حيث الشعور المتزايد بالتحول المجتمعي السريع للإسلام والإقبال عليه؛ لموافقته الفطرة السوية، ولأن تلك المجتمعات

---

(١) من المعلوم أن إعداد القوة التي يرهبها العدو من مطالب الشريعة الإسلامية، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] وكلمة الإرهاب استعملها أعداء الإسلام على قاعدة كلمة حق أريد بها باطل.

وجدت فيه بديلاً مناسباً عن الوثنيات والإلحاد والفراغ الروحي، فقام الأعداء بتجسيد الإسلام في صورة الغلو والغلاة، وأظهروا أقوالهم وأفعالهم بصورة تزرع الكراهية والحقد في نفوس العامة، وتحول بينهم وبين قبوله، أو مجرد التفكير فيه، فوجب على أهل العلم وطلابه بيان حقيقة الإسلام الناصعة، وأنه الدين الذي يصلح لكل زمان ومكان، وأنه بريء مما ألحقه به المنتسبون إليه من أهل الغلو، وكذلك ما يسعى أعداؤه الحاقدين والحاسدين من اليهود والنصارى ومن وافقهم إلحاقه به ونسبته إليه.

الغلو في اللغة والاصطلاح :

الغلو في اللغة :

جاء في مقاييس اللغة الغين واللام والحرف المعتل، أصل صحيح يدل على ارتفاع ومجاوزة قدر، يقال غلا السعر يغلو غلاء: وذلك ارتفاعه،

وغلا الرجل في الأمر غُلواً: إذا جاوزه حده[١]، وجاء في لسان العرب غلا في الدين والأمر يغلو غلوا: جاوز حده، وقيل: معناه البحث عن بواطن الأشياء، والكشف عن عللها وغوامض مُتعبداتها[٢]، ولعل ملخص ما ذهب إليه أهل اللغة في تعريفهم للغلو بأنه التجاوز عن الحد، والخروج عن القصد.

الغلو في الاصطلاح:

تعريف الغلو في الاصطلاح الشرعي وإن تعددت ألفاظه لا يخرج عن: تجاوز الحد الشرعي بالزيادة ، اعتقاداً أو قولاً أو عملاً[٣]، أو تجاوز الحد الشرعي بالزيادة على ما جاءت به الشريعة، سواء كان ذلك في الاعتقاد أو القول أو في العمل، وعلى هذا يمكن تقسيم الغلو إلى قسمين، هما:

١-غلو في الأعمال الظاهرة، أو غلو في العمل .

٢-غلو في الاعتقاد، وهو الأخطر، على ما سيأتي تفصيله.

---

(١) مقاييس اللغة، غلو.

(٢) لسان العرب غلا.

(٣) انظر اقتضاء الصراط المستقيم، (٢٨٩/١)، وفتح الباري شرح صحيح البخاري، (١٣/ ٢٧٨)، والاعتصام للشاطبي، (٣/ ٣٠٤).

ذكر الغلو في القرآن الكريم:

ورد لفظ الغلو في القرآن الكريم مرتين في آيتين تحت لفظة (تغلو) يقول سبحانه: ﴿يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾[١]، ويقول أيضا : ﴿قُلۡ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾[٢]، وفسر الزمخشري الآية الأولى بقوله : "غلت اليهود في حط المسيح عن منزلته حيث جعلته مولوداً لغير رشدة، وغلت النصارى في رفعه عن مقداره حيث جعلوه إلهًا"[٣]، ومن هنا نعلم أن الغالي في دين الله وقع في إساءتين عظيمتين، علم بذلك أو لم يعلم: الأولى: أنه انتقص دين الله وما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين، الثانية: أنه أتى بزعمه بأفضل مما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه، ولاشك أن هذه فتنة عظيمة يتلبس بها الغلاة من حيث لا يعلمون.

---

(١) النساء:١٧١.

(٢) المائدة:٧٧.

(٣) تفسير الكشاف(١ / ٥٨٤) . طبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٩٧٢.

أنواع الغلو :

الغلو مسلك خطير يجلب حظوظ النفس وحب الظهور على الآخرين، إذ أن من طبيعة النفوس حب التسلط والرياسة وميل الإنسان إلى التفرد والتميز على أقرانه و أهل زمانه،وهذا لا ينكره إلا مكابر، فيشاهد في المشارب والملابس والمراكب والدور، وفي الآراء والأفكار، وحال الغلاة في هذا العصر خير شاهد، فالغرور والإعجاب بالنفس، والاعتداد بالرأي، صفات لازمة لهم يقول ابن الوزير رحمه الله في بيان هذا: الغالب على أهل البدع شدة العُجب بنفوسهم وهي من عجائب العقوبات الرانية، وقد كثرت الآثار في أن إعجاب المرء بنفسه من المهلكات ودليل العقوبة، أنك ترى أهل الضلال أشد عجبا وتهليكاً للناس، واستحقارا لهم[١]، وهذا الغلو والغرور جعلهم يعتقدون احتقار كل المخالفين لهم من المسلمين ، بل القيام بامتحان الناس والتنقيب عما في صدورهم . قال ابن سيرين رحمه الله : "سؤال الرجل أخاه أمؤمن أنت ؟ محنة بدعة كما يمتحن الخوارج"،[٢] وما تنقله وسائل الإعلام عن أحوالهم، وما يقومون به يتفق تماما مع ما ذكره التاريخ عن الخوارج القدامى، بل إن خوارج العصر بلغوا في الغلو مبلغاً لم ينقل عن أولئك، ومعلوم أن دين الله بين الغالي فيه والجافي عنه، ومنهج الوسطية قامت عليه الشريعة الإسلامية السمحة وفي

---

(١) ننظر إيثار الحق على الخلق، ص ٤٢٦، بتصرف يسير.

(٢) أصول السنة للإمام الالكائي ص٦ – ٩٨٨

بيان أنواع الغلو يقول ابن قيم الجوزية :نوع يخرجه عن كونه مطيعاً، كمن زاد في الصلاة ركعة، أو صام الدهر مع أيام النهي، أو رمى الجمرات بالصخرات الكبار التي يرمى بها في المنجنيق، أو سعى بين الصفا والمروة عشراً، أو نحو ذلك عمداً، وغلو يُخاف منه الانقطاع والاستحسار كقيام الليل كله وسرد صيام الدهر أجمع بدون صوم أيام النهي، والجور على النفوس في العبادات والأوراد، الذي قال فيها النبيﷺ: "إن هذا الدين يسر، ولن يشادّ الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا ويسروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيءٍ من الدُّلجة" وفي صحيح مسلم عنه ﷺ أنه قال: "هلك المتنطعون" قالها ثلاثا[١]، وهم المتعمقون المتشددون[٢].

أقسام الغلو :

وبعد الإشارة إلى نوعي الغلو: الاعتقادي والعملي، فإن الغلو الاعتقادي ينقسم إلى:

١- غلو كلي : والمراد بالغلو الكلي الاعتقادي: ما كان متعلقا بكليات الشريعة وأمهات مسائلها، وهو أشد خطرا وأعظم ضررا من الغلو العملي، إذ أن الغلو الكلي الاعتقادي الذي يدفع إلى الشقاق

---

(١) انظر مدارج السالكين، ٢/ ٤٩٦ – ٤٩٨ .

(٢) البخاري، في كتاب العلم، باب كان النبي يتخولهم برقم (٦٩)، ومسلم، في كتاب الجهاد والسيرة برقم (١٧٣٤) .

والانشقاق، وهو سبب ظهور الفرق والجماعات الخارجة عن الصراط المستقيم، كالخوارج والرافضة والباطنية ومن يشبههم.

٢- الغلو في الاعتقاد : ويظهر في مجاوزة حدود الاعتقاد الصحيح إلى غيره من العقائد المنحرفة ، والناظر في آراء الفرق الكلامية التي فارقت أهل السنة والجماعة بنوع اعتقاد يجدها قد غلت في ناحية من نواحي العقيدة حتى خرجت عن الاعتقاد الصحيح والصراط المستقيم[١]. ففي صفات الله تبارك وتعالى نجد النفاة والمؤولة غلو في تنزيه الله حتى عطلوه عن صفات الكمال، ونعوت الجلال، ووصفوه بصفات الجمادات أو المعدومات، وفي مقابل هؤلاء ترى المجسمة والمشبهة، غلو في الإثبات حتى وقعوا في التجسيم والتشبيه، والحق وسط بين الفريقين تنزيه بلا تعطيل، وإثبات بلا تجسيم ولا تمثيل، وعلى هذا المنهج الغالي سارت جميع طوائف المتكلمين، فطائفة تثبت شيئاً وتغلو فيه، وأخرى تثبت نقيضه وتغلو فيه، ويلحق به الغلو في الحكم على الناس: فهو مجاوزة الحد في إلحاق الحكم بهم تكفيراً، أو تبديعاً، أو تفسيقاً، فالحكم بهذه الأمور على أحد من الناس إنما هو إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ ، فمن دل الدليل القاطع على إلحاق هذا الحكم به أُلحق، ومن لم يدل الدليل على إلحاق الحكم به فإن تنزيله عليه من تعدي حدود الله تعالى والقول عليه بغير علم، وهو الغلو الفاحش الذي أردى الأمة، وفرق جماعتها، بل إن هذا من جنس غلو

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٢٨٩ وما بعدها.

الخوارج في الحكم على المسلمين، والحكم على حكام المسلمين بالكفر والخروج من الإسلام، فترتب عليه استباحة الحرمات، وسفك الدماء الطاهرة المعصومة، والشحناء والبغضاء بين أهل الإسلام، ومثل هذا يقال في التبديع والتفسيق بغير حق، فإنه يؤدي إلى التقاطع والتباغض والعداء، وهو أيضا سبيل إلى التكفير بغير حق[١].

وقد بُلينا في هذا الزمان ببعض المنتسبين إلى السلفية ممن يغلون في الحكم على الناس بالبدعة حتى بلغ الأمر عندهم إلى التعميم في التبديع على كل المجتمع، وأن الأصل في غيرهم البدعة حتى يُمتحن فيتبين شأنه، وهؤلاء جُهال بالشريعة، جُهال بفهم عبارات العلماء في البدع وأهلها، فلا عبرة بقولهم، وما ذهبوا إليه من الحكم الجائر على مخالفيهم ولا يعوَّل عليه بشيء، بل هو هباء لا وزن له، وقد أحسن وأجاد وأفاد شيخنا العلامة المحدث الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد البدر في نصحهم والتحذير من منهجهم في رسالته القيمة والتي جعل عنوانها: "رفقا يا أهل السنة بأهل السنة"[٢].

---

(١) انظر التكفير وضوابطه، أ.د. إبراهيم الرحيلي، دار الإمام البخاري، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٦م، ص ٢٣٢-٢٣٧، وفكر التكفير قديماً وحديثاً، أ. د. عبد السلام السحيمي، دار الإمام أحمد،١٤٢٦هـ، ص ٧٧-٧٨.

(٢) للأسف الشديد لما خرجت الرسالة، أصبح كل فريق يرمي بها الآخر، ويقول: إن الشيخ يقصد أولئك ولا يقصدنا والشيخ – حفظه الله– لم يقصد بها معين، وإنما أراد النصح لجماعة المسلمين، والله المستعان.

ولنا في رسول اللهﷺ أُسوة وقُدوة، فقد منع من تنزيل الحكم العام على شارب الخمر بأن تحل عليه لعنة الله، أعني على الشخص المعين، لِما قام به من إيمان بالله ورسولهﷺ، فكيف يُسارِع الغالون اليوم إلى تنزيل أحكام الكفر والفسق العامة على الأشخاص المعينين دونما روية وتأمل! فتنزيل الأحكام على الشخص المعين لابد له من شروط تتوفر، وموانع تنتفي، كما وضح ذلك المحققون من علماء أهل السنة والجماعة.

تنبيه :

لابد من الإشارة هنا إلى أمرٍ لا يقل خطورة على الإسلام والأمة الإسلامية عن الغلو، وهو أن يُرمى كل من يدعو للإسلام الحق وتحكيم الكتاب والسنة بالغُلو أو التشدد أو الإرهاب، والناظر البصير يرى سهام الأعداء تُوجه في هذا العصر للدعوة والدعاة للإسلام ، سواء كان أولئك الأعداء من أبناء جلدتنا الذين يتكلمون بألسنتنا وينتسبون للإسلام من باطنية وصوفية ورافضة ومعتزلة وعلمانية وليبرالية، أو يهود أو نصارى أو ملحدين، فإن هؤلاء جميعاً في خندق واحد لمحاربة الإسلام الحق وتصويره عبر وسائل إعلامهم على اختلافها وتنوعها أنه الخطر الذي يهدد استقرار العالم ويتسبب في نشأة الطوائف المتطرفة –الغُلاة– وأهل السنة يعلمون الحق ويعملون به ويُظهرونه وينصرونه وينشرونه ويرحمون الخلق ويحبون لهم الخير والنجاة، فهم الوسط بين طوائف الغلاة والجفاة فشمس الرسالة تمحو الأهواء وتطمس البدع والخرافات، وبالعدل الإسلامي الحق، يتحقق تنزيل الناس منازلهم ،ويُعطى أهل الحقوق حقوقهم ،ويحصل النصر والتمكين وعزُّ الإسلام والمسلمين، ومع هذا فإنّ الدراسات والإحصاءات العالمية المحايدة تشهد أن الغلو أو التطرف في العصر الحديث قد أخذ منه العالم الغربي والدول الأوروبية على اختلاف دياناتها وتركيباتها الاجتماعية نصيب الأسد فبلغت نسبة التطرف خارج دائرة الإسلام، يعني عند اليهود والنصارى والملحدين، ما يقارب ٧٠%

إلى ٨٥%فيبقى نصيب الأمة الإسلامية من التطرف في كثير من الدراسات يصل إلى ١٥% وهي نسبة ضئيلة لا تساوي بأي حال من الأحوال هذه الحملة الشرسة القائمة عبر العالم كله ضد الإسلام[١]، وتُخص المملكة العربية السعودية بأوفر النصيب من الاتهامات الجائرة، وتوصف بأوصاف منفرة لشعوب الأرض على اختلاف دياناتها وأنظمتها، وزارعة الكراهية والحقد في نفوس الناس على بلاد الحرمين وشعبها وقادتها وعلمائها وكبرائها والقصد من هذا كله ضرب الإسلام الوسطي الذي تمثله هذه الدولة – حرسها الله– وأُسست قواعدها عليه من البداية، ويمكن أن يُسمى هذا المسلك، بتسييس قضية الغلو ضد الإسلام والمسلمين المُظهرين التمسك بتعاليم دينهم ووصفهم بالغُلاة–المتطرفين– أو الوهابية أو التكفيريين، وإيهام العالم أنهم السبب في نشأة الغلو والتطرف، يظهر هذا المسلك جليا من التركيز على قضية إعفاء اللحية أو التزام المرأة المسلمة بالحجاب أو القيام بواجب الدعوة للإسلام هذه الأمور وأمثالها كفيلة بإلحاق وصف التشدد أو الغلو أو التطرف أو الإرهاب بأصحابها من المسلمين وهذا يُرى ويُسمع في كثير من المجتمعات الغربية، بل وصل الأمر إلى بعض المجتمعات المنتسبة للإسلام وجُندت لخدمته والسير في ركابه قنوات إعلامية ضخمة لإقناع العالم بهذه المفاهيم

---

(١) من محاضرة ألقاها الشيخ محمد بن محمد المهدي، بعنوان " الغلو في الدين، حقيقته، وأسبابه، وأثاره، وعلاجه" بصنعاء: اليمن، ٨/٦/١٤٢٥هـ.

وهذا التوجه الخطير الذي وقف فعلاً في وجه الدعوة للإسلام الحق والحد من انتشاره ووصوله بصورته النقية الصافية إلى كثير من المجتمعات والأفراد.

وهذا يُوجب على العلماء وطلاب العلم ورجال الإعلام القيام بالتوضيح والبيان لمنهج الحق–والوسطية– التي تسير عليه هذه البلاد منذ عهد الملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله ،وهي تعلن الدعوة لاجتماع الأمة على كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ بفهم السلف الصالح من الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين لهم بإحسان ونبذ الفرقة والاختلاف. وهذا التنبيه والبيان بحقائق الأمور وما تؤول إليه من النتائج السيئة لا يعني بأي حال من الأحوال السكوت أو غض الطرف عن مظاهر الغلو والتشدد التي تظهر بين حين وآخر في العالم الإسلامي من بعض جهال المسلمين الذين يتبعون كل ناعق ولا يخلو منهم أي مجتمع من مجتمعات الدنيا ومنها مجتمع المملكة العربية السعودية ويحركهم ويستغلهم أعداء الإسلام من دول وتنظيمات وجماعات لها أهدافها ومخططاتها التي يدركها ويكشفها أهل الاختصاص من العلماء والمختصين المخلصين الصادقين الناصحين لدينهم وأوطانهم هم من يتصدى لتلك المظاهر لمعرفتهم لأسبابها ودوافع أهلها، ولا نغفل الإشارة هنا إلى أنه في معظم الأحيان يكون لمن ذكرنا من أعداء الإسلام دور ظاهر أو خفي في استنبات بذور الغلو في البلدان والمجتمعات الإسلامية أو النفخ في رمادها

وإيقاد جذوة نارها ببعض السفهاء والجهال والمغفلين من أبناء المسلمين وهم كثير، يستغلهم من عرف أحوالهم وعلم كيف يستدرجهم ويجعل منهم حطباً لنار الفتنة، التي يجني ثمرتها أعداء الإسلام الحق ، ويحققون بهم مقاصدهم التي لا يستطيعون تحقيقها بغيرهم فيجب على أهل العلم إظهار علمهم والجهر بالحق والتصدي لهؤلاء بكل تعقل وقوةٍ وعزمٍ وحزمٍ والقضاء على فتنتهم في مهدها ووأدها قبل أن تكون شراً مستطيراً وأمراً خطيراً يتهدد الإسلام وأهله.

الغلو عند المسلمين :

الغلو ظاهرة قديمة وجدت قبل الإسلام، قص الله علينا في كتابة الكريم ما كان من أهل الكتاب في باب الغلو على سبيل التحذير منه، وعدم الوقوع في ما وقع فيه اليهود والنصارى من الغلو في أنبيائهم وأحبارهم ورهبانهم، مما ورد ذكره عنهم في آيات كثيرة تصف حالهم وما آل إليه أمرهم من الغلو وتجاوز الحد المشروع، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه سيقع في هذه الأمة ما وقع في الأمم السابقة: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم: "لتتبعُنَّ سنن من كان قبلكم باعاً بباع، وذراعاً بذراع، وشبراً بشبر، حتى لو دخلوا في جحر ضبٍّ لدخلتم فيه"، قالوا: يا رسول اللَّه اليهود، والنصارى؟ قال: "فمن إذاً"[(١)]، وقال ﷺ "افترقت

(١) سنن ابن ماجه، ابن ماجة، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، (٢/ ١٣٢٢).

اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، قالوا : من هم يا رسول الله ؟ قال : هم من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي اليوم"[١]، فظهرت بوادر الغلو في زمن النبي صلى الله علية وسلم، لاسيما في باب العبادة وقصة النفر الذين تقالوا عبادة النبي صلى الله عليه وسلم مشهورة معروفة بادر ﷺ لعلاج الأمر وحذر من الغلو وأرشد إلى إتباع السنة وأمر بتجنب طرق الغلو كلها[٢] ، وفي عهد الصحابة رضوان الله عليهم بعد وفاة النبي ﷺ، ظهرت فرق غلت في أمور اعتقادية، فظهرت الخوارج ، وظهرت القدرية وغيرها من طوائف المبتدعة[٣]، فتصدى الصحابة رضوان الله عليهم لها وبينوا بطلان مسالكهم بالدليل من القرآن والسنة والعقل الصحيح، وحذروا من الغلو، وأرشدوا الناس إلى الاعتقاد الصحيح المبني على فهم دين الإسلام الحق.

---

(١) حديث صحيح، صححه شيخ الإسلام، والشيخ الألباني، انظر تخريجه في كتابه ظلال الجنة في تخريج أحاديث كتاب السنة ،لابن أبي عاصم الضحاك، وقد أنكر صحته بعض دعاة الإسلام اليوم دون حجة ولا برهان إلا أنه لم يوافق هواهم

(٢) انظر تخريج حديث النفر الذين تقالوا عبادة النبي ﷺفي صحيح البخاري، وفتح الباري، كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح ج٨ / ١٠٤برقم٥٠٦٣

(٣) انظر من كتب الفرق مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن الأشعري من ١٦٧/١– ٢٠٠ تحقيق محي الدين عبد الحميد، ط الثانية، ١٣٨٩هـ، مكتبة النهضة: القاهرة، وكتاب الفرق للبغدادي ص١٨– ٢٠ تحقيقه أيضا، ط دار المعرفة: بيروت، والفرق بين الفرق للبغدادي .

استمرار ظاهرة الغلو :

استمر الغلو في الأمة مصداقًا لخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم: "...إنه يخرج من ضِئْضئ هذا قوم يتلون كتاب اللَّه رطباً، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية.."[١]، فلم يسلم عصر من وجود فرق الغلاة على اختلاف مظاهر الغلو من طائفة إلى أخرى، وما نشاهده في عصرنا امتداد لظاهرة الغلو، وما تكوى به هذه الأمة في مشارق الأرض ومغاربها وما تعانيه من المصائب نتاج هذا الفكر المنحرف، ولم تكن هذه البلاد الغالية على قلوب المسلمين– أعني بلاد الحرمين المملكة العربية السعودية – بمنأى عن هذه الظاهرة وأثرها السيئ وما يقع بين فترة وأخرى من قتل وتفجير وتكفير ما هو إلا ثمرة من ثمار هذا الفكر المنحرف، وما زال علماء الأمة الناصحين يتصدون لمثل هذا الفِكر بقوة الدليل والبرهان وبالنصوص الجَلِّية الصريحة الواضحة التي لا تقبل الردَّ أو التأويل، والرد على الشُبَّه وتفنيدها وبيان بطلان مسلك الغُلاة بالأدلة الصحيحة من الكتاب والسنة وكلام السلف الصالح ، وما أجمل قول القائل : فما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان: إما تفريط وإضاعة، وإما إلى إفراط وغلو، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه

---

(١) صحيح البخاري، محمد ابن إسماعيل ، تحقيق محمد زهير ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ،(٥/ ١٦٣).

كالوادي بين جبلين، والهدي بين الضلالين، والعامل على غير علم كالسالك على غير طريق ما يفسد أكثر مما يصلح.

أسباب الغلو :

يمكن إجمالها في سببين رئيسين، وإليهما ترجع الأسباب المتفرقة وإن كثرت وتعددت :

السبب الأول :

الجهل والتلقي عن أهل الجهل: وقد ذكر الله تبارك وتعالى هذا السبب في قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾[1]، فقرن بين النهي عن الغلو، والنهي عن القول على الله – عز وجل – بلا علم . وهو سبب عظيم من أسباب الغلو في الدين، ويشمل الجهل بمعاني آية القرآن والأحاديث النبوية وحملها على غير المراد، وإنزالها على غير أهلها وعدم الردِ إلى أهل العلم والاستنباط، ومخالفة منهج السلف الذين عرفوا مقاصد الشريعة وأدركوا السنن الربانية، وعلاقة الإيمان الصحيح بالعمل، وعلموا مراتب الأحكام ومناط التكليف في نصوص

([1]) النساء: ١٧١.

الشريعة، وأما أهل الغلو فجهلوا هذا كله، ولم يعرفوا مراتب الأحكام، وأحوال الناس وأحكامهم، ومقاصد الشريعة، ومناط التكليف، في النصوص الشرعية فوقعوا في الإفتيات على الكبار من العلماء والحكام في المسائل التي تخصهم شرعاً وعقلاً، فأورثهم هذا الجهل إعراضاً وشقاقاً ونزاعاً وانقساماً، فالاختلاف والانقسام صفة لازمة لهم وعلامة عليهم إلى يومك هذا فالنفوس الغالية ليست سوية ولا مستقرة ، بل الاضطراب والتردد لا يكاد يفارقها، ولهذا ترى في مقالاتهم الجمع بين الضدين والقول بالرأيين المختلفين، وهذا يظهر جلياً لمن يطالع كتب الفرق والمقالات، وما يصدر عنهم في هذا العصر من أقوال وتصريحات وأفعال قبيحة، واقتتالهم فيما بينهم، وتكفير بعضهم بعضاً، يعلم يقيناً أن الغلو يحرك في النفوس خمائر البغي والعدوان على المخالف، ولو كان من أقرب المقربين.

السبب الثاني :

إتباع الهوى : وهذا السبب أيضًا أشار إليه سبحانه بقوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾[1]، فانظر كيف قرن الله – عز

(1) المائدة:٧٧.

وجل – بين النهي عن الغلو، والنهي عن إتباع أهواء الغالين، الذين يقودونا لأتباع إلى الغلو . فاتباع الهوى من أعظم الأسباب التي تؤدي إلى الغلو، وذلك أن الشخص قد يكون ذاعلم ومعرفة، ولكن اتِّبَاعه لهواه يصدُّه عن العمل بمقتضى معرفته، فيكون كمن لا يعرف ولا يسمع، كما قال جل وعلا: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]، وقال صلى الله عليه وسلم: "يكون أقوام تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه فلا يبقى منه مفصل إلا دخله"[2]، قال الشاطبي في معنى هذا الحديث: إنه صلى الله عليه وسلم أخبر بما سيكون في أمته من هذه الأهواء التي افترقوا فيها إلى تلك الفرق، وأنه يكون فيهم أقوام تداخل تلك الأهواء قلوبهم، حتى لا يمكن في العادة انفصالهم عنها وتوبتهم منها على حد ما يدخل داء الكَلَب جسم صاحبه، فلا يبقى من ذلك الجسم جزء من أجزاءه ولا مفصل ولا غيرهما إلا دخله ذلك الداء ، وهو جريان لا يقبل العلاج، ولا ينفع فيه الدواء، فكذلك صاحب الهوى إذا دخل قلبه وأشرب حبه لا تعمل فيه الموعظة، ولا يقبل البرهان، ولا يكترث بمن خالفه، ثم بين الشاطبي وجه تشبيه الهوى وعدواه بداء الكلب،فقال : وبيان ذلك أن داء الكلب فيه ما يشبه العدوى، فإن أصل الكَلَب واقع بالكلب، ثم إذا عض ذلك

---

(١) القصص: ٥٠.

(٢) أخرجه أحمد، (١٠٢/٤)، ورقم (١٦٩٧٩) وصححه الألباني في ظلال الجنة: رقم ٢، والصحيحة ٢٠٤.

الكلب أحدا صارمثله، ولم يقدر على الانفصال منه في الغالب إلا بالهلكة ، فكذلك المبتدع إذا أورد على أحد رأيه وإشكاله فقلما يسلم من طائلته، بل إما أن يقع معه في مذهبه ويصير من شيعته، وإما أن يثبت في قلبه شكا يطمع في الانفصال منه فلا يقدر[١]، ولهذا حرص العلماء الذين بلغوا مقام الإمامة في الدين على التحذير من مجالسة المبتدع ، ومنعوه من الجلوس في حلق العلم ، ورفضوا سماع ما يورده ولو كان آية من كتاب الله ، وكانوا يحذرون شبه المبتدعة ، ويحرصون على سلامة قلوبهم منها.

والمتأمل في حال شباب الأمة الإسلامية اليوم يرى أن إتباع أهل الأهواء من الأسباب الخطيرة التي أوقعت كثيراً من الشباب المتحمس في الغلو، يستوي لدى هؤلاء أهواؤهم الشخصية التي لا يرون الحق إلا بها أو أهواء من أُعجبوا به ،وصُور لهم أنه المثل الأعلى والعالم الذي يجب أن يُقبل كل قول وفعل يصدر عنه، وإن خالف الجماهير من العلماء والأمراء والعامة ، وهذا السبب من أخطر الأسباب التي أوقعت شراً عظيمًا وفُتن بسببها كثير من الجهال والمتأمل لواقع الغلو والغُلاة يرى كثيرٌ من الأسباب تندرج تحت هذين السببين والله المستعان .

(١) الاعتصام، للشاطبي، (٢ / ٢٦٧ – ٢٦٨ .٢٧٧).

علاج الغلو :

كما تعدد أسباب الغلو تعدد طرق علاجه، فمن أساء فهم الأدلة نقول له عد للفهم الصحيح، ومن خرج على جماعة المسلمين نقول له عليك أن تلزم الجماعة، ولعلي هنا أوجز طرق علاج الغلو في عدة أمور وهي:

الأمر الأول: الاعتصام بالكتاب والسنة على منهج السلف الصالح، وهو أعظم أنواع العلاج، يقول الله عز وجل: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[1]، والاعتصام بحبل الله، هو السبيل الصحيح لاجتماع الأمة على الحق، وعدم اختلافها وافتراقها، وفي حديث ابن عباس قال – رضي الله عنهما – : خطبنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في حجة الوداع

---

(١) النساء:٥٩.

فقال : "يا أيها الناس، إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تَضِلوا أبداً: كتاب اللَّه، وسنة نبيه"[١].

فعلاج الغلو والغلاة أن يردوا إلى القرآن الكريم والسنة؛ لأنه لا خلاف فيهما عند أهل الإسلام، وهما الدليل والأصل المأمور بالرجوع إليه عند التنازع ،على فهم العلماء الربانين الذين يجب على الأمة أن تصدر عن أقوالهم ، لأنهم علماء الشرع العدول الذين أرشد صلى الله عليه وسلم الأمة إلى أوصافهم بمثل قوله : "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين"[٢].

فلابد من مُجانبة البدع والحذر منها، وتوضيح مواطن الغلو وتحرير جميع المسائل المشكلة عند الغلاة بطريقةٍ سهلةٍ لا لبس فيها، مع ربط تلك المسائل بأصولها وقواعدها وأدلتها وأقوال أهل العلم بحيث لا يُترك مجالاً لأصحاب الشبهات من الغلاة للتلبيس على العامة والجُهال، وتتبع وحصر شبهاتهم في مؤلفاتهم ومقالاتهم ومواقعهم على الشبكة العنكبوتية، وجميع وسائل التواصل ومعرفة أساليبهم، وإشعار المنظرين بذلك كله،ومكاشفتهم والرد عليهم بالحجة والبرهان الشرعي والعقلي بالحوار الجاد الذي يكشف خطأهم وخطرهم ،ويجمع الأمة على الحق، فإن لم ينكف شرهم بهذا فإن لولي الأمر أن يوقفهم عن التمادي في

---

(١) أخرجه البيهقي (١٠/ ١١٤، رقم ٢٠١٢٣)، والحاكم (١/ ١٧١، رقم ٣١٨)، وقال صحيح الإسناد، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١ / ١٠ ، رقم ٤٠).

(٢) رواه البيهقي، ج ١٠ ، ص ٢٠٩، وصححه الألباني في تحقيقه مشكاة المصابيح ١ / ٥٣.

الباطل بقوة السلطان وبالطريقة التي تكف الشر وأهله وتقلله وتكثر الخير وأهله.

الأمر الثاني : التأكيد على أهمية لزوم الجماعة، والسمع والطاعة لولي الأمر في غير معصية الله وهو الأصل العظيم الذي كان يؤكد عليه أئمة سلف الأمة العدول بمثل قولهم: لا دين إلا بجماعة ولا جماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة، وقد دلت عليه النصوص الكثيرة ، منها قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[1]، فطاعة ولاة الأمر لازمة ومتحتمة، نصت عليها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة. ومنها على سبيل المثال أن الصحابة رضي الله عنهم قد بايعوا النبي ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره، في العسر واليسر، وعلى أثرة عليهم، ومنها حديث العرباض بن سارية الآتي، وفي حديث عبد الله بن مسعود أيضًا، يرفعه إلى رسول الهدى صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن الدعوة تحيط من ورائهم "[2]، وهو حديث صحيح، ويُغِل –كما قال ابن الأثير – من الخيانة، ويروى : يَغِل، بالفتح: وهو الحقد، يعني: لا يدخُله حقد يزيله عن الحق.

وعن العرباض بن سارية –رضي الله عنه – أنه قال: وعظنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقلنا : يا رسول الله، كأنها موعظة مودع، فأوصنا، فقال :

---

(1) النساء:٥٩.

(2) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٤، رقم ٢٦٥٨) ، وابن ماجه (١/ ٨٥ ، رقم ٢٣٢) ، والحميدي (١/ ٤٧، رقم ٨٨) وصححه الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح (١/٧٨ ، رقم ٢٢٨).

"أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً مُجدَّعاً فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيرا "، فما المخرج من هذا الاختلاف؟ قال صلى الله عليه وسلم: "فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المَهديين فتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثةٍ بدعة"[١].

الأمر الثالث: الاستعانة بالله جل وعلا؛ توكلاً ودعاء: كلنا يقرأ سورة الفاتحة في كل ركعة، ويقرأ فيها قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٢]، يعني: لا نعبد إلا إياك، ولا نستعين على عبادتنا لك إلا بك، والإنسان في هذه الحياة الدنيا في أمس الحاجة إلى معونة الله – جل وعلا–، بل لا حول له ولا قوة إلا بالله، ولهذا لما قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لمعاذ: "إني أحبك" . أوصاه بوصيةِ مُحبٍّ، فقال له: "أن لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك"[٣]،

---

(١) أخرجه أحمد (١٢٦/٤ ، رقم ١٧١٨٤) ، وأبو داود (٢٠٠/٤ ، رقم ٤٦٠٧) ، والترمذي (٤٤/٥ ، رقم ٢٦٧٦) وقال حسن صحيح، وابن ماجه (١٥/١ ، رقم ٤٢) ، والحاكم (١٧٤/١ ، رقم ٣٢٩) وقال : صحيح ليس له علة، والبيهقي (١١٤/١٠ ، رقم ٢٠١٢٥)، وأخرجه أيضًا : ابن حبان (١٧٨/١ ، رقم ٥) ، والدارمي (٥٧/١ ، رقم ٩٥) . وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٢٦/٦ ، رقم ٢٧٣٥) .

(٢) الفاتحة:٥.

(٣) أخرجه أحمد (٢٤٤/٥ ، رقم ٢٢١٧٢) ، وأبو داود (٨٦/٢ ، رقم ١٥٢٢) ، والنسائي في الكبرى (٣٢/٦ ، رقم ٩٩٣٧)، والحاكم (٤٠٧/١ رقم ١٠١٠) وقال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين، والطبراني (٦٠/٢٠ ، رقم ١١٠) وابن حبان (٣٦٥/٥ ، رقم ٢٠٢١) . وعبد بن حميد (ص ٧١ ، رقم ١٢٠)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته (١٣٢٠/٢)

فالإنسان حتى يستقيم على طاعة الله –عز وجل – ويسلم من مسلكي الإفراط والتفريط، بأمسِّ الحاجة إلى معونة الله – سبحانه وتعالى–، وصدق اللجوء إليه في أمره كله، ومن الاستعانة بالله عز وجل الدعاء، فقد كان من دعاء رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنى لِما اخْتُلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم"[(١)]، وهذا الأمر غفل عنه كثير من الناس ، أعني الدعاء والإلحاح على الله بطلب الهداية للحق، بل إن الكثير من الناس لا يفكر بالدعاء فضلاً عن العناية به ، ولو تيقن واستحضر ما في الدعاء من الخير والفضل للزمه حتى في أصعب الظروف لا يتركه أبدًا، ولنا عبرة بني الله يونس عليه السلام، إذ قال وهو في بطن الحوت: ﴿ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[(٢)]، فاستجاب الله له، ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـْۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[(٣)].

الأمر الرابع : الحرص على طلب العلم من أهله، والصدور عن رأي العلماء، لاسيما في القضايا العامة والنوازل فطلب العلم سبب عظيم من أسباب السلامة وعدم الوقوع في الغلو؛ لأن الغلو – كما تقدم –

---

(١) أخرجه مسلم (٢/١٨٥ ، رقم ١٨٤٧).

(٢) الأنبياء:٨٧.

(٣) الأنبياء:٨٨.

هو مجاوزة الحد الشرعي، فإذا عرف حدود الشريعة صار بمنأى عن مجاوزة تلك الحدود، فتعلم العلم الشرعي، والحرص على أخذه من أهله المتحققين به، المعروفين بالسلامة واستقامة المنهج، ولابد أن تصدر الأمة وخاصة الشباب عن أفكار وآراء علماءها، لاسيما في القضايا العامة التي تمس واقع الأمة ومصيرها، كما قال الله – جل وعز: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾[1]، ولهذا لما فَقِه أهل العلم أهمية طلب العلم قالوا في مؤلفاتهم : (باب العلم قبل القول و العمل)، فقبل أن يقول قولا أو يعمل عملاً لابد من إدراك حكمه الشرعي، وما يؤول إليه من خيرٍ أو شر، فيقدم أو يحجم، ولو فقه الشباب واقع الحال بأن من أسباب الغلو هيمنة اتجاهات فكرية منحرفة ومتطرفة خطيرة على الساحة الإعلامية العالمية وموجهة ضد الإسلام والمسلمين، تدعو بكل وضوح وصراحة للتمرد على الإسلام وتعاليمه السمحة وقيمه السامية من عقلانية وعلمانية ولبرالية وماسونية وشيوعية وغيرها لا يعلم هذا ولا يدركه إلا من علم علماً تاماً وأحاط بجميع جوانب الأمر الظاهرة والباطنة، وأدرك مدى خطرها على الإسلام والمسلمين وتعامل معها بحكمة وعلم ، ولاشك أن العالم المطلع على واقع الحال يعلم أن هذه الحركات والجمعيات والجماعات تعمل عملها وتجند جندها لتحقيق

([1]) النساء:٨٣.

أهدافها التي يأتي على رأسها استنبات الطوائف الغالية المنتسبة للإسلام، وفي المقابل توغر صدور الشباب على علماء الأمة الربانيين المخلصين وتظهرهم بصورة علماء السوء المداهنين، وعملاء الحكام أو أنهم لا يفقهون الواقع ويحملون ما يصدر عنهم من أقوال أو فتاوى على أسوء المحامل بطريقة تصرف الناس عنهم وتزهدهم بهم وتنزع هيبتهم ومكانتهم من نفوس العامة وبهذه الطرق وغيرها يُستنبت الغلاة وتظهر الطوائف الغالية التي قُطع الطريق بينها وبين العلماء الناصحين بمثل هذه الدعاوى الماكرة الكاذبة.

الأمر الخامس: وجوب القيام بالمناصحة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وحسب علمي القاصر فإن المملكة العربية السعودية – حرسها الله– هي الدولة الوحيدة في العالم التي أُسست فيها هيئة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رسمية ومتكاملة، تقوم على هذا العمل وقد أغاظ هذا الأعداء، ومازالوا يمكرون ويخططون جادين في محاولة إزالتها، أو الحد من نشاطها المبارك في إقامة هذه الشعيرة الإسلامية العظيمة، وقد أجلبوا عليها بخيلهم ورجلهم، فكان الرد العظيم من الرجل العظيم أسد السنة صاحب السمو الملكي الأمير الراحل نايف بن عبد العزيز تغمده الله برحمته بمقولته الشهيرة : هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وُجدت لتبقى، قال تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾[1]، ومع

(١) الأنفال: ٣٠.

هذا لابد من تلافي الأخطاء والحد منها في هذا الجهاز المهم؛ لأننا نعلم أن المتربصين يرصدون الأخطاء، ويجعلون من الصغيرة كبيرة، فيجب الحذر من الوقوع في شرك مخططاتهم، ولمحاربة الغلو والغلاة وتحقيق المراد الذي وعد الله به في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾[1]، وذلك بالطرق المشروعة، على جميع مستويات الأمة فكلنا أمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفق ضوابط الشرع.

والغلاة أصحاب الأفكار المنحرفة يحتاجون لعناية ورعاية خاصة من هذا الجهاز المبارك وبرامج مكثفة تُعنى بهم وتعالج أفكارهم بطريقة شرعية، فيقول ربنا – جل وعلا: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[2]، ويقول سبحانه: ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾[3]، وهاتان الآيتان تبينان أن المشروع هو الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لكن على وجهٍ لا يفرق الأمة، ولهذا قرن سبحانه وتعالى في هاتين الآيتين بين الفلاح وإقامة الدين وعدم الفرقة، فهذه الأمور يجب أن تكون على الوجه المشروع، وإذا كانت على الوجه المشروع فإنها تؤدي إلى اجتماع الأمة، ولا يمكن بحال من الأحوال أن تؤدي إلى الفرقة والاختلاف المذموم شرعاً وعقلاً، وإن مشروع –

---

(١) الحج: ٤١.

(٢) آل عمران: ١٠٤.

(٣) الشورى: ١٣.

المناصحة ـ من الأمثلة الرائدة لتطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بتوجيه من ولاة الأمر، وهو تطبيق عملي لهذه القاعدة العظيمة، وكانت المملكة العربية السعودية السَّباقة والرائدة فيه، وهو المبني على فهم قضية الغلو والتطرف من قبل ولاة الأمر في هذه البلاد، وأنها مسألة فكر واعتقاد وفهم خاطئ للدين يجب أن يصحح بفهم صحيح وفكر سليم، وحيث وجَّه صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن نايف ولي العهد ووزير الداخلية بإسناد أمر المناصحة للعلماء المتخصصين، فأعطى القوس باريها، وأسند الأمر إلى أهله، فنتج عنها ولله الحمد والمنة نتائج عظيمة، ونجحت نجاحاً مبهراً، وتراجع كثير من المتأثرين بأفكار الغلو، وأعلنوا توبتهم، وشهد بهذه التجربة الرائدة العالم كله، وسُجل سبقاً لهذه الدولة المباركة، وصار العالم يحذوا حذوها، ويسترشد بتجربتها.

الأمر السادس: أن يترك الإنسان ما لا يعنيه، وألا يتصدى لما ليس له بأهل ولم يكلف به شرعا، وهذا لو أدركه كثير من الناس وخاصة الشباب لسلم لهم دينهم وحُفظت حسناتهم، وسلمت الأمة من شرور الغلاة والغلو بأنواعه إذ أن انشغال البعض في قضايا الأمة العامة والنوازل أوقعهم في دائرة الغلو، وقد مر معنا ذكر هذه الآية العظيمة: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾[1]، وقول الحق جل وعلا: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا

(1) النساء:٨٣.

يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾[١]، ونبي الهدى – صلوات ربي وسلامه عليه – يرشدنا جميعاً إلى ترك ما لا يعنينا فيقول – صلى الله عليه وسلم – : "من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه"[٢]، .وهذا الحديث أصل عظيم من أصول الأدب الإسلامي فإذا حسن إسلام المرء ترك مالا يعنيه، وهذا التأصيل الشرعي ليس بالأمر اليسير، ومما يعين عليه استحضار قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[٣]، إن هذه معالم الفلاح والتسديد والتوفيق يقيس بها المرء نفسه، فيعرف بها مقدار قربه أو بعده عن جادة الحق والصواب، وإن ما يقع فيه بعض الشباب من الخوض فيما لا يعنيهم ولم يكلفوا به شرعاً ولا عرفاً، وألوان الحديث المبنية على غير يقين في أمور لا تخصهم من أمور الأمة العامة والخاصة مما ينتج عنه تكفير المعينين من الجماعات والأفراد، ويوقع في الغلو والخلاف والتنازع والتفرق والتحزب بسبب ذلك مدحاً أو قدحاً، وينتج عن ذلك تبعية كثير من الشباب لأشخاص أو رموز متخفية، أو إعلام موجه له منطلقاته الخاصة التي خطط لها أصحابه وقصدوها بمكر وخبث يخفى على الكثير، وجُل ما يطرح فيه لا يخلو من المبالغة هذا إن كان صحيحاً، أو الإشاعة الكاذبة

---

(١) النور:١٦.

(٢) أخرجه مالك (٩٠٣/٢ ، رقم ١٦٠٤) ، والترمذي (٥٥٨/٤ ، رقم ٢٣١٨) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٤١٦/٧ ، رقم ١٠٨٠٦) وصححه الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح (١٣٦١/٣ ، رقم ٤٨٣٩).

(٣) الإسراء:٣٦.

التي لها مقاصدها والتي لا يعرفها إلا أهل النظر والاستنباط، فهم من يدرك الأمور على حقيقتها وما تؤل إليه، فيجب على عامة الناس أن يلزموا جماعة المسلمين وإمامهم، وإن دخول المرء في الأمور التي لا يُحسنها، ولا يحيط بجميع أبعادها ومآلاتها، من الجهل وتحمل مسؤولية قد يعجز عنها فتُهلكه أو يندم حين لا ينفع الندم .

الأدلة على التحذير من الغلو :

الأدلة من القرآن الكريم:

من كمال الشريعة الإسلامية أنها جاءت ببيان يسر الإسلام وسهولته وأنه رفع الحرج عن أهله

يقول سبحانه:﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ ﴾[1]، ويقول جل وعلا: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾[2]، فالحث على هذه الأمور وإرشاد الأمة إليها في الواقع هو تحذير من ضدها، وتوالت النصوص الشرعية تحث على الرفق والاعتدال والوسطية في مثل قوله

(1) الحج:٧٨.

(2) البقرة:١٨٥.

تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾[1]، وسطًا يعني: عدولاً خياراً، ويا ليت الغلاة علموا هذا والتمسوا العذر لإخوانهم المخالفين لهم خاصة في المسائل التي يسوغ فيها الخلاف من مسائل الاجتهاد ودقائق الاعتقاد، لكنهم غلو وجعلوا رأيهم بمنزلة الوحي الذي لا يمكن مخالفته، وكل مخالف لهم هالك أو ضال مبتدع، وقد يصل الأمر في النهاية إلى إخراجهم المخالفين من دائرة الإسلام بالكلية فيصدق عليهم قول الحق جلّ وعلا: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[2]، وأشير هنا إلى أن بعض الآيات التي أوردها في هذا المقام، ورد ذكرها في ثنايا البحث في مواضع عدة للاستشهاد أو لمناسبة ذكرها، وقد تعاد في مواضع عدة لذات الغرض، وقد أرشد سبحانه وتعالى إلى طريق الحق ونهى عن الغلو الذي وقع فيه أهل الكتاب فالنصارى غالوا في عيسى عليه السلام فوصفوه بالألوهية ووضعوه في غير موضعه وهو مقام العبودية والرسالة، وكما غالوا في شأن عيسى عليه السلام غالوا أيضًا في تمسكهم بعقائدهم الزائفة مع ظهور الأدلة على بطلانها وفسادها، وهذا هو عين الغلو، فمن ذلك قوله سبحانه في الآية الأخرى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ

---

(١) البقرة:١٤٣.

(٢) الجاثية:٢٣.

وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ﴾[1]، والمعنى قل يا محمد لأهل الكتاب الذين تجاوزوا الحدود التي تُقرها الشرائع والعقول السليمة، قل لهم يا أهل الكتاب: لا تغلو في دينكم غير الحق، أي: لا تتجاوزوا حدود الله تجاوزاً باطلاً كأن تعبدوا سواه مع أنه هو الذي خلقكم ورزقكم، وكأن تصفوا عيسى بأوصاف هو برئ منها، وقل لهم أيضًا : ولا تتبعوا أهواء قوم، أي: لا تتبعوا شهوات وأقوال قوم من أسلافكم وعلمائكم ورؤسائكم قد ضلوا عن سواء السبيل، معطوف على قوله قد ضلوا من قبل، وسواء السبيل هذا هو سبيل الحق وسبيل الرشد وهو الصراط المستقيم كما قال سبحانه وتعالى: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾[2]، فصراط الله المستقيم وسط بين السبل التي أشارت الآيات والأحاديث الصحيحة أنها كلها معوجة متفرقة ذات اليمين وذات الشمال إما إفراط وإما تفريط .

---

(1) النساء: ١٧١.

(2) الأعراف: ١٤٦.

الأدلة من السنة المطهرة :

الأحاديث النبوية في النهي عن الغلو كثيرة جداً صحيحة ثابتة مبثوثة في ثنايا كتب السنة الصحيحة مشهورة غير مجهولة منها على سبيل المثال لا الحصر ما جاء عن النبيﷺ فيما يرويه عنه عبد الله بن مسعود ﷺ قال: "هلك المتنطعون هلك المتنطعون هلك المتنطعون" [١]،

والمتنطع–كما يقول النووي في شرحه على صحيح مسلم – هو المتعمق في الشيء، المغالي فيه، المجاوز حد الشرع فيه، سواء أكان قولاً أم فعلاً أم اعتقادًا، ومن الأدلة أيضا التي تحذر الأمة من الغلو حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة جمع – يعني صبيحة ليلة مزدلفة، وهي ليلة يوم النحر: "هاتِ، القُطْ لي"،

---

(١) أخرجه مسلم (٤/٢٠٥٥ ، رقم ٢٦٧٠).

فلقطت له حصيات هن حصى الخذف[١]، فلما وضعتهن في يده قال: "بأمثال هؤلاء"، يعني: فارموا، "وإياكم والغلو في الدِّين"[٢]، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : قوله : "إياكم والغلو في الدين"، عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال[٣].

ومن الأدلة التي تحذر الأمة من الغلو حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – يرفعه إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: "إن الدِّين يسر، ولن يُشادَّ الدِّين أحد إلا غلبه"[٤]، ويشاد بمعني: يغالب، فمن غالب الدين، فشق على نفسه، فسيكون منتهى أمره إلى الانقطاع ويُغلب، كما قال – صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر – : "عليكم من الأعمال ما تطيقون، فإن اللَّه لا يمل حتى تملوا "[٥]، وقوله –صلى الله عليه وسلم – : "إن اللَّه رفيق يحب الرفق، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف"[٦]، وفي قصة الرهط من اليهود الذين دخلوا على الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا: السام عليكم، ففهمتها عائشة رضي الله عنها

(١) الخذف: هو رميك حصاة أو نواة يأخذها بين سبابتيك وترمي بها، أو تتخذ مِخذفة من خشب ثم ترمي بها الحصاة بين إبهامك والسبابة، .النهاية، خذف .

(٢) أخرجه أحمد (٣/٣٥٠ ، رقم ١٨٥١)، والنسائي (٥/٢٦٨ ، رقم ٣٠٥٧)، وابن ماجه (٢/١٠٠٨، رقم ٣٠٢٩)، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٣/٢٧٨ ، رقم ١٢٨٥).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ١ / ٢٨٩

(٤) أخرجه البخاري (١/٢٣ ، رقم ٣٩).

(٥) أخرجه البخاري (٥/٢٢٠١ ، رقم ٥٥٢٣) ، ومسلم (١/٥٤٠ ، رقم ٧٨٢) .

(٦) أخرجه مسلم (٤/٢٠٠٣ ، رقم ٢٥٩٣) .

فقالت: عليكم السام واللعنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" مهلاً يا عائشة فإن الله يحب الرفق في الأمر كله"[١]، فإذا كان صلوات الله وسلامه عليه، يأمر بالرفق مع أهل الذمة، وهم يتطاولون على مقامه الشريف، فكيف لا يرفق المسلم بأخيه، ويحمل ما قال أو فعل على أحسن محمل، إن دين الإسلام، دين حسن الخلق والرفق، ومكارم الأخلاق، هذه بعض الأدلة التي تحذر من الغلو وأكتفي بهذا القدر .

(١) انظر القصة في صحيح البخاري، باب كيفية الرد على أهل الذمة السلام، برقم ٦٣٥٦، ١١/٤١.